القاموس المحيط

وضعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ . وهو من علماء اللغة الكبار . وقد وضع معجمه في بلدة زَبيد من بلاد اليمن ، وقدمه للملك الأشرف اسماعيل بن العباس من ملوك الدولة الرسولية في اليمن .

وكان الفيروزابادي قد شرع في وضع معجم مطول مفصل . فسئل تقديم كتاب وجيز ، فوضع كتابه هذا . وكان غرضه أن يجمع أكبر قدر من ألفاظ اللغة ، ويستقصيها فيه . فألفه لذلك مختصراً ، فجاء صغير الحجم ، غزير المادة ، يجمع كل ألفاظ اللغة التي وردت في معجم لسان العرب ، بل فيه زيادات لم ترد في اللسان . قال في مقدمته يبين غرضه الذي أراده : « هذا واني قد نبغت في هذا الفن قديماً ، وصبغت به أديماً ، ولم أزل في خدمته مستديماً . وكنت برهة من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً . ولما أعياني الطِلاب شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجاب ... غير أني خمنته في ستين سفراً يعجز تحصيله الطلاب . وسئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، وعمل مفرغ في قالب الإيجاز والإحكام ، مع التزام إتمام المعاني وإبرام المباني . فصرفت صوب هذا القصد عناني ، وألفت هذا الكتاب [1] » .

(١) القاموس المحيط ٣/١ .

رجع المؤلف الى معجمين كبيرين مشهورين من معجمات اللغة ، وهما كتاب المحكم لابن سيده ، وقد عرفناه آنفاً ، وكتاب العباب الزاخر لأبي الفضائل الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ ، وهو من أجود كتب اللغة وأصحها . تضمن كتابه خلاصة ما في هذين الكتابين . وأضاف اليه زيادات كان استفادها من مطالعته كتب اللغة وغوصه في بطونها . قال في مقدمته : « وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم ، وأضفت اليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم ، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الداماء الغطمطم [1] » .

اتبع الفيروزابادي في تأليف قاموسه طريقة الجوهري وترتيبه في الصحاح ، ولكنه أراد أن يجعل كتابه نظيراً لكتابه في الصحة والاختصار ، فكان له ما أراد . ثم أراد أيضاً أن يفوق الجوهري في الجمع والاستيعاب ، فتحقق له ذلك أيضاً ، وجاء كتابه جامعاً يكاد يحيط بألفاظ اللغة جميعاً على الرغم من اختصاره ، ولذلك سماه القاموس المحيط ، ومعناه البحر الأعظم . قال في مقدمته : « ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر إما باهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للناظر بادىء بدء فضل كتابي هذا عليه ... ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر بل إذاعة لقول الشاعر : كم ترك الأول للآخر [2] » .

كان الاختصار غاية الفيروزابادي في تأليف قاموسه ، فجعل هذ

(١) القاموس المحيط ٣/١ .
(٢) المصدر نفسه .

الغاية نصب عينيه من أول الكتاب الى آخره ، فكان يورد المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة . قال في مقدمته : « إذا تأملت صنيعي هذا وجدته مشتملا على فرائد أثيرة ، وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وايراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة[1] » .

وقد تجلى في سبيل الاختصار عن خطة عامة قديمة اتبعها مؤلفو المعجمات العربية من الخليل بن أحمد صاحب العين الى ابن منظور صاحب اللسان دون استثناء . وهي الاستشهاد على ألفاظ اللغة وصحتها بشواهد من شعر العرب القديم وأمثالهم وآيات القرآن وأحاديث الرسول وغير ذلك . وكانت تشغل حيزاً كبيراً من صفحات المعجمات الأخرى . فتركها الفيروزابادي وأخلى معجمه منها للاختصار كما قلنا . وقد أشار الى ذلك في مقدمته فقال : « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معرباً عن الفصح والشوارد[2] » .

وقد اتبع المؤلف طرقاً أخرى بينها في مقدمته[3] لتحقيق الاختصار في كتابه ، من هذه الطرق :

١ – استعمال بعض الحروف رموزاً لبعض الكلمات التي تتكرر كثيراً في أثناء شرح الألفاظ . فقد اتخذ المؤلف حرف (ع) رمزاً لكلمة موضع ، وحرف (د) رمزاً لكلمة بلد ، وحرف (ة) رمزاً لكلمة قرية ، وحرف (ج) رمزاً لكلمة جمع ، وحرف (م) رمزاً لكلمة معروف ، وتركيب (جج) لجمع الجمع .

(١) القاموس المحيط ١/٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) القاموس المحيط ١/٣ – ٤ .

٢ – استعمال بعض الأفعال والأسماء المعروفة مفاتيح ومقاييس لمعرفة أوزان الأفعال والأسماء الغريبة وضبطها .

٣ – ترك أسماء الرواة والعلماء الذين أخذت اللغة عنهم .

وهناك خصائص وضوابط أخرى يعرفها الإنسان ويكشفها بطول مزاجعة هذا المعجم مع الزمن . وكل هذه الأمور كانت نتيجتها ضغط حجم الكتاب وتقليل صفحاته مع الجمع والاستيعاب . ونذكر من هذه الضوابط ما يلي :

١ – لم يضبط المؤلف عين المضارع المفتوحة ، وانما ضبطها في حالتي الضم والكسر فحسب . وهذا يعني بواقع الحال أن عين المضارع غير المضبوطة مفتوحة .

٢ – أورد المؤلف أولاً الفصيح المشهور من الألفاظ ، ثم أتبعها غيرها من النوادر والشوارد .

٣ – وكذلك ذكر المطرد في القياس من المصادر والجموع وغيرها أولاً ، ثم اتبعها المصادر والجموع وغيرها من الابنية التي تأتي على غير القياس .

ولقد وفق المؤلف في تحقيق الاختصار لمعجمه . ولكن هذا الاختصار جعل الرجوع الى هذا المعجم عسيراً في النتيجة على المبتدئين وأوساط القراء لتكثيف مادته ، والرموز المستعملة فيه ، والضوابط الخفية التي اتبعها مؤلفه ، حتى جاءت عبارته في بعض الاحيان غامضة مبهمة . فينبغي لمن ينظر فيه أن يلزم الأناة دائماً ، ويكون حذراً محتاطاً .

وعلى الرغم من سعي الفيروزابادي الى استيعاب ألفاظ اللغة

فقد فاته أشياء لم يدركها ، والإحاطة باللغة غاية لا تدرك على كل حال . فلذلك ألف بعض العلماء استدراكات عليه ، ذكروا فيها ما فاته من اللغة . وحتى قال السيوطي في كتاب المزهر : « ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للشوارد والشوارد فقد فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة . حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلا عليه (١) » .

ويمتاز القاموس المحيط مع ذلك عن المعجمات الأخرى بما ضمنه صاحبه من أسماء النبات والعقاقير الطبية واصطلاحات العلوم الأخرى مثل النحو والفقه والعروض وغيرها ، وهذا ما نسميه اليوم بالمصطلحات العلمية . وكذلك يمتاز القاموس بالاعلام التي ذكرها صاحبه من أسماء الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء وغيرهم من المشاهير . وكان أصحاب المعجمات قبل صاحب القاموس يذكرون أسماء الشعراء وبعض الرؤساء . فجاء هو فزاد في أسماء الاعلام زيادة كبيرة . وتكثر في هذا المعجم أيضا أسماء الأماكن والبلدان مثل كثرة اسماء الأعلام سواء . وكان من خطة الفيروزابادي أن يؤخر ذكر هذه الأمور من اصطلاحات العلوم وأسماء الأعلام والبلدان وغيرها الى آخر المواد فيوردها بعد الفراغ من معاني الصيغ اللغوية المختلفة .

حاز القاموس المحيط رضا الناس وقبولهم ، وسرعان ما طارت شهرته في آفاق العربية ، وانتشر بين الناس انتشاراً واسعاً لشموله وايجازه ، وارتقى الى مرتبة صحاح الجوهري في بعد الصيت ، وزيادة

(١) المزهر ١/١٠٣ .

اهتمام الناس به ، بل كاد يغطي على شهرة الصحاح القديمة ، صار اسم القاموس مرادفا لكلمة المعجم ، بل صار علما مع الز فاصبح الناس يطلقون على كل معجم اسم قاموس الى يومنا هذا .

واهتم العلماء كذلك بالقاموس اهتماما كبيرا ، واحتفلوا به ك وكان من نتائج هذا الاهتمام أنهم كتبوا عليه الشروح والتعليقا ووضعوا له الحواشي والاستدراكات ، وادارو حوله البحث والدراسات ، كما فعلوا قبل بصحاح الجوهري سواء . ومن أه الدراسات التي ألفت في نقد القاموس وتصحيحه كتاب الباسوس القاموس لأحمد فارس الشدياق المتوفى سنة ١٨٨٧ م . واكبر وضع له هو معجم تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مر الزبيدي . وهو اكبر معجم في اللغة العربية بعد لسان العر منظور . وسنتكلم عليه في الصفحات التالية .

طبع للقاموس المحيط في اربعة أجزاء عدة طبعات ، وهو ما كثير في الاسواق ، واحسن طباعاته هي الطبعة الاولى التي وقف الشيخ نصر الهوريني في المطبعة الميرية ببولاق في القاهرة سنة ١٢٩ ثم أعيدت هذه الطبعة مرات أيضا .